

محمد عطية الإبراشي

# صَلاحُ الدِّينِ وَقَلْبُ الأَسَدِ

قَصَصُ إِسْلامِيَّةٍ لِلأَطْفالِ

مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - الفيحاء

ملثمة الطبع والنشر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بُنَى الْعَزِيز :

سَأَذْكُرُ لَكَ الْآنَ قِصَّةَ صَلَاحِ الدِّينِ مَعَ قَلْبِ الْأُسْدِ ،  
وَهِيَ قِصَّةٌ جَمِيلَةٌ جِدًّا ، تَدُلُّ عَلَى بُطُولَةِ صَلَاحِ الدِّينِ ،  
وَشَجَاعَتِهِ وَنُبْلِهِ .

مَاذَا حَدَثَ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ صَلَاحُ الدِّينِ بَيْتَ

الْمَقْدِسِ ؟

وَصَلَّتِ الْأَخْبَارُ إِلَى أَوْرُبَّةَ وَالْأُورُبِّيْنَ أَنْ صَلَاحَ الدِّينِ  
دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مُنْتَصِرًا ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ ، فَتَأَثَّرُوا  
وَهَاجُوا ، وَاجْتَمَعَ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ مِنَ الْإِفْرَنْجِ ، وَاتَّفَقُوا  
مَعَ رِجَالِ الدِّينِ مِنْهُمْ عَلَى جَمْعِ جُيُوشٍ جَدِيدَةٍ مِنَ  
الصَّلِيبِيِّينَ ، لِتَخْلِصَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مِنْ يَدَيْ صَلَاحِ  
الدِّينِ .

وَصَلَّتِ الْجُيُوشُ الصَّلِيبِيَّةُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ ، تَحْتَ  
قِيَادَةِ ( رِيْتشارْد ) مَلِكِ الْإِنْجِلِيزِ ، الْمُلَقَّبِ قَلْبَ الْأُسْدِ ،

و (فِيلِيبَ) مَلِكِ فَرَنْسَا وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْقَوَادِ وَالْمُلُوكِ .  
وَأَرْسَلُوا إِلَى صَلاَحِ الدِّينِ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ  
مِنْ جُنُودِهِ الْأَقْوِيَاءِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَحَيَّاهُمْ <sup>(١)</sup> ، وَسَأَلَهُمْ  
عَمَّا يُرِيدُونَ .

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا جِئْنَاكَ بِجُيُوشٍ لَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَيْهَا ،  
فَمِنْ الْحَيْرِ لَكَ أَنْ تُخْلِيَ <sup>(٢)</sup> بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي الْحَالِ . وَإِذَا  
لَمْ تُخْلِهَا فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ .

فَقَالَ صَلاَحُ الدِّينِ : « إِنَّكُمْ تَعْتَزُونَ بِكَثْرَتِكُمْ ،  
وَلَكِنَّا نَعْتَزُّ بِقُوَّةِ إِيْمَانِنَا ، وَصِدْقِ عَزَائِمِنَا . وَإِنَّكُمْ قَوْمٌ  
تُحِبُّونَ الدُّنْيَا ، أَمَّا نَحْنُ فَقَوْمٌ نُحِبُّ الْآخِرَةَ ، وَنَعْمَلُ  
لَهَا . وَلَنْ يَنْتَصِرَ مَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ .

وَلَنْ يَنْهَزِمَ مَنْ أَرَادَ الْمَوْتَ .

فَقَامَ ( رِيْشَارْدُ ) وَقَالَ : يَا صَلاَحَ الدِّينِ ، إِنِّي  
( رِيْشَارْدُ قَلْبُ الْأَسَدِ ! ) نَحْنُ نَعْتَزُّ بِقُوَّتِنَا . ثُمَّ أَتَى

(٢) تَتْرَكَ .

(١) قَالَ لَهُمْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .



بِقَضِيْبٍ مِّنَ الْحَدِيدِ ، ثُمَّ رَفَعَ سَيْفَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ الْقَضِيْبَ ، فَقَطَعَهُ قِطْعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ رَافِعًا رَأْسَهُ ، فَخُورًا بِقُوَّتِهِ . فَصَفَّقَ لَهُ الْأَوْرُبِيُّونَ تَصْفِيقًا طَوِيلًا .

وَلَكِنَّ صَلَاحَ الدِّينِ نَظَرَ إِلَى ( رِيْتَشَارْدَ ) فِي احْتِقَارٍ ، ثُمَّ قَالَ : « لَيْسَتْ أُمُورُ الْحَرْبِ رَاجِعَةٌ إِلَى صَلَابَةِ السُّيُوفِ ، وَقُوَّةِ الضَّرْبِ ، وَإِنَّمَا مَرَجِعُهَا إِلَى قُوَّةِ الْقُلُوبِ ، وَقَطْعِ السُّيُوفِ ، وَالْمَهَارَةِ فِي الْحُرُوبِ » .  
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْدِيلًا رَقِيقًا ، وَرَمَاهُ إِلَى أَعْلَى ، ثُمَّ أَخْرَجَ سَيْفَهُ ، وَتَلَقَّفَ بِهِ الْمِنْدِيلَ ، فَقَطَعَهُ قِطْعَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَيْنِ ، فَعَجَبَ الْحَاضِرُونَ ، وَسَكَّتُوا جَمِيعًا .

وَمَدَّ صَلَاحُ الدِّينِ سَيْفَهُ ، وَرَفَعَ بِطَرَفِهِ قِطْعَتَيِ الْمِنْدِيلِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَرَمَاهُمَا فِي حِجْرِ ( رِيْتَشَارْدَ ) ثُمَّ قَالَ : « بِمِثْلِ هَذِهِ السُّيُوفِ سَنَلْقَاكُمْ غَدًا .. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَجْلِسِهِمْ .

قَامَ ( رِيْتَشَارْدُ ) مِنْ مَكَانِهِ ، وَحَاوَلَ تَقْلِيدَ

صَلاَحُ الدِّينِ فِيمَا فَعَلَ بِالمِنْدِيلِ ، فَلَمْ يَنْجَحْ . وَزَادَ  
إِعْجَابُ المُلُوكِ بِصَلاَحِ الدِّينِ .  
مُحَاصَرَةُ عَكَّا :

اِخْتَلَفَ الصَّلِيبِيُّونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا أَرْضَ  
الشَّامِ ، وَجَعَلَ كُلُّ مَلِكٍ يَكِيدُ لِلاَّخَرِ . وَاشْتَدَّتِ العَدَاوَةُ  
بَيْنَ مَلِكِ الإِنْجِلِيزِ وَمَلِكِ فَرَنْسَا . وَحَاصَرَتِ الجُيُوشُ  
الصَّلِيبِيَّةُ عَكَّا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَانْتَشَرَتِ الأَمْرَاضُ بَيْنَ  
الجُنُودِ ، وَاشْتَدَّتْ حَرَارَةُ الصَّيْفِ ، فَرَجَعَ الصَّلِيبِيُّونَ إِلَى  
بِلَادِهِمْ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ( رِيْثَارْدُ ) الَّذِي اسْتَمَرَّ مُحَاصِرًا  
عَكَّا بِجَيْشِهِ .

وَدَافَعَ الأَهْلُونَ عَنِ المَدِينَةِ دِفَاعًا مَجِيدًا . وَلَمْ يَسْتَطِعْ  
( رِيْثَارْدُ ) دُخُولَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ قُتِلَ آخِرُ جُنْدِيٍّ مِنْ  
المُسْلِمِينَ المُدَافِعِينَ عَنْ حُصُونِهَا .

صَلاَحُ الدِّينِ يُحَصِّنُ بَيْتَ المَقْدِسِ :

اسْتَمَرَّ صَلاَحُ الدِّينِ فِي إِعْدَادِ الجَيْشِ ، وَتَحْصِينِ بَيْتِ  
المَقْدِسِ لِمُلاقَاةِ الصَّلِيبِيِّينَ فِي مَوْقِعَةٍ فَاصِلَةٍ .

الْتَقَى جَيْشُ ( رِيْتَشَارْدَ ) مَعَ جَيْشِ صَلَاحِ الدِّينِ  
وَجْهًا لَوْجِهِ عِنْدَ بَلَدَةِ ( حِطِّينَ ) . وَكَانَ ( رِيْتَشَارْدُ )  
يَخْرُجُ لَيْلًا ؛ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى رَاحَةِ قَوَادِهِ وَجُنُودِهِ . وَكَانَ  
مَعَهُ فَتَاةٌ عَمِلَتْ عَلَى تَوْفِيرِ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ لَهُ .

وَكَانَتْ تَمْشِي وَرَاءَهُ فِي أَىِّ جِهَةٍ يَمْشِي فِيهَا ؛ لِأَنَّهَا  
سَمِعَتْ أَنَّ هُنَاكَ مُوَامِرَةً تُدَبَّرُ فِي السِّرِّ لِقَتْلِهِ . وَلَمَّا أَخْبَرَتْهُ  
لَمْ يَهْتَمَّ بِقَوْلِهَا .

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي بَحَثَتِ الْفَتَاةُ عَنْ ( رِيْتَشَارْدَ ) فِي  
خَيْمَتِهِ فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَخَرَجَتْ تُفْتِشُ عَنْهُ ، فَتَاهَتْ فِي  
الطَّرِيقِ ، وَوَصَلَتْ إِلَى مُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَظَنَّتْهَا أَحَدُ  
الْحُرَّاسِ جُنْدِيًّا يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَهُمْ ، فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ  
أَصَابَهَا ، فَوَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مُلَطَّخَةً بِدِمَائِهَا .

وَصَادَفَ أَنَّ مَرَّ صَلَاحُ الدِّينِ كَعَادَتِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ بِتِلْكَ  
الْجِهَةِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا مُحْزِنًا ، فَبَحَثَ فَوَجَدَ هَذِهِ الْفَتَاةَ  
تَتَأَلَّمُ مِنْ جُرْحِهَا . فَحَمَلَهَا عَلَى يَدَيْهِ ، وَمَشَى بِهَا حَتَّى  
وَصَلَ إِلَى أَقْرَبِ خَيْمَةٍ فِي الْمُعَسْكَرِ ، وَطَلَبَ الطَّبِيبَ ،



وَأَوْصَاهُ بِهَا خَيْرًا . فَأَخْرَجَ الطَّبِيبُ السَّهْمَ مِنْ فَخْدِهَا ،  
وَعَالَجَهَا حَتَّى شُفِيَتْ مِنْ مَرَضِهَا . وَبَقِيَتْ فِي  
الْمُعَسْكَرِ .

التقى الجيشان ، وَاقْتَتَلَا قِتَالًا طَوِيلًا ، وَأُعْجِبَ  
صَلَاحُ الدِّينِ بِمَهَارَةِ ( رِيْشَارْد ) الْحَرْبِيَّةِ ، مَعَ مَا كَانَ  
بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَدَاوَةِ .

أَسَرَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ الصَّلِيبِيِّينَ ، فَلَمَّا عَرَضُوهُمْ عَلَى  
صَلَاحِ الدِّينِ فِي خَيْمَتِهِ عَرَفَتِ الْفَتَاةُ فِي الْأَسْرَى قَائِدًا كَانَ  
يُلَازِمُ ( رِيْشَارْد ) ، فَطَلَبَتْ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ أَنْ يَسْمَحَ  
لَهَا بِالتَّكَلُّمِ مَعَ ذَلِكَ الْقَائِدِ الْأَسِيرِ . فَلَمَّا سَمَحَ لَهَا سَأَلَتْهُ  
عَنْ سَيِّدِهِ ، فَأَخْبَرَهَا بِأَنْ هُنَاكَ مُوَأَمَرَةٌ مِنْ أَعْدَائِهِ  
الْفَرَنْسِيِّينَ وَبَعْضِ الْإِنْجِلِيزِ لِقَتْلِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ .  
وَلَمْ أَتِمَّكَزْ مِنْ إِنْخَبَارِهِ ؛ لِأَنِّي وَقَعْتُ أُسِيرًا .

تَأَلَّمَتِ الْفَتَاةُ ، وَأَخَذَتْ تُبْكِي . فَسَمِعَهَا صَلَاحُ  
الدِّينِ ، فَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ بُكَائِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .  
وَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ ( رِيْشَارْد ) أَنْ يَخْرُجَ كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ

انتهاء القتال ؛ ليرى بنفسه القتل والجرح من جنوده ،  
ومعه بعض قواده .

وفي تلك الليلة التي دبر فيها أعداؤه المؤامرة خرج  
وحده . فرأى في الميدان قائدا مرميا على وجهه ،  
فجلس ، وأخذ يقلبه ، فعرف أنه قائد فرنسي كان يقربه  
من مجلسه ، وظنه ميتا ، فتأثر ، ووقف حزينا ، ثم  
مشى .

وفي الحال قام ذلك القائد الفرنسي ، ونفخ في بوق  
صغير كان معه . فدهش ( ريتشارد ) حينما رأى كثيرين  
يذهبون جهته في الظلام ، فراجع إلى الوراء ، ولكنه  
تذكر سيفه ، فأخرجه ، ثم صاح في وجه الخائنين : من  
أنتم ؟ فأجابه القائد الفرنسي : نحن سنقطع اليوم  
رقتك .

فقال ( ريتشارد ) : لن يكون لكم ذلك . إنني  
( ريتشارد قلب الأسد ) . هل فيكم إنجليزي ؟  
فأجابه الفرنسي : نعم . فهجم عليهم ( ريتشارد ) ،



وَلَكِنَّهُمْ تَكَاثَرُوا عَلَيْهِ ، وَأَخَذَتْ قُوَّتُهُ تَضَعُفُ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ سَيُقْتَلُ .

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَصَلَ جُنُودٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّبْلَاءِ الْأَبْطَالِ ، فَأَبْعَدُوا هَؤُلَاءِ الْخَوَنَةَ عَنْ ( رِيْشَارْدَ ) ، وَضَرَبُوهُمْ بِسُيُوفِهِمْ ، وَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا . ثُمَّ طَلَبُوا إِلَى ( رِيْشَارْدَ ) أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى مُعَسْكَرِ سَيِّدِهِمْ صَلاَحِ الدِّينِ ، الَّذِي أَرْسَلَهُمْ لِإِنْقَاذِهِ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِهِ .

ذَهَابُ ( رِيْشَارْدَ ) إِلَى صَلاَحِ الدِّينِ :

ذَهَبَ ( رِيْشَارْدُ ) إِلَى صَلاَحِ الدِّينِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ فِي صَلاَحِ الدِّينِ النَّبْلَ وَالشَّرَفَ وَالْبُطُولَةَ . وَلِأَنَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّ الْقَائِدَ الَّذِي يُخَلِّصُ عَدُوَّهُ مِنَ الْمَوْتِ — لَنْ يُفَكَّرَ فِي أَنْ يَأْخُذَهُ أُسِيرًا ، بَعْدَ إِنْقَاذِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ .

قَابَلَ صَلاَحُ الدِّينِ ( رِيْشَارْدَ ) مُقَابَلَةَ الصَّدِيقِ لِصَدِيقِهِ ، وَأَكْرَمَهُ كُلَّ الْإِكْرَامِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَتِ الْفَتَاةُ الَّتِي كَانَتْ تُلَازِمُ ( رِيْشَارْدَ ) ، وَأَخْبَرَهُ صَلاَحُ الدِّينِ بِأَنَّهَا كَانَتْ السَّبَبَ فِي تَخْلِيصِهِ مِنَ الْمَوْتِ فِي هَذِهِ

اللَّيْلَةِ .

وَشَكَرَ ( رِيْتَشَارْدُ ) لِصَلَاحِ الدِّينِ مَا قَامَ بِهِ مِنْ إِنْقَاذِ

حَيَاتِهِ .

فَقَالَ لَهُ صَلَاحُ الدِّينِ : لَا شُكْرَ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبِ .

وَقَدْ انْتَهَتْ الْحَرْبُ بِانْتِصَارِ صَلَاحِ الدِّينِ انْتِصَارًا تَامًا .

وَعُقِدَتْ بَيْنَهُمَا مُعَاهَدَةٌ كَانَ مِنْ شُرُوطِهَا وَقْفُ الْقِتَالِ

بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالصَّلِيبِيِّينَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ وَثَلَاثَةِ

أَشْهُرٍ .

رَجَعَ ( رِيْتَشَارْدُ ) إِلَى بِلَادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ

الْمَقْدِسِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ رِسَالَةً يَذْكُرُ لَهُ فِيهَا أَنَّهُ

سَيَرْجِعُ لِلْحَرْبِ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْهُدْنَةِ ، لِيُخَلِّصَ بَيْتَ

الْمَقْدِسِ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ .

فَأَرْسَلَ لَهُ صَلَاحُ الدِّينِ خِطَابًا كُلُّهُ رِقَّةٌ وَذَوْقٌ ، بَيَّنَ لَهُ

فِيهِ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَفْرُؤٌ مِنْ هَزِيمَتِهِ ، فَإِنَّهُ يُفْضَلُ أَنْ

يَنْهَزِمَ لِرِيْتَشَارْدَ لَا لِمَلِكٍ آخَرَ غَيْرِهِ .

وَبَعْدَ أَنْ انْتَصَرَ صَلَاحُ الدِّينِ ، وَخَلَّصَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ

مِنَ الصَّلَيبِيِّينَ ، رَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

### صَلَاحُ الدِّينِ بِالْقَاهِرَةِ :

رَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَنَظَّمَ حُكُومَتَهُ ، وَبَنَى الْحُصُونِ  
وَالْمَسَاجِدَ ، وَبَنَى قَلْعَةً عَظِيمَةً فَوْقَ جَبَلِ الْمُقَطِّمِ . وَبَنَى  
حَوْلَ الْقَاهِرَةِ سُورًا عَظِيمًا مِنَ الْحَجَرِ يَحْمِيهَا مِنْ شَرِّ  
الْأَعْدَاءِ .

وَأَخَذَ يَنْشُرُ التَّعْلِيمَ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أُنْشِئَ  
فِي مِصْرَ الْمَدَارِسَ الشَّعْبِيَّةَ الَّتِي يَتَعَلَّمُ فِيهَا أَبْنَاءُ الْفُقَرَاءِ  
وَالْأَغْنِيَاءِ مَعًا . فَأَحَبَّهُ الشَّعْبُ لِعَدْلِهِ وَنُبْلِهِ ، وَحِلْمِهِ ،  
وَشَجَاعَتِهِ وَكَرَمِهِ . وَمَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ بِقَصَائِدِهِمْ .

وَقَدْ اتَّسَعَتْ مَمْلَكَةُ صَلَاحِ الدِّينِ ، فَكَانَ مِنْهَا مِصْرُ ،  
وَالْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ ، وَجُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ .  
وَكَفَاهُ شَرَفًا أَنْ يُوَحِّدَ بَيْنَ الْعَرَبِ ، وَأَنْ يُحْيِيَ الْقَوْمِيَّةَ  
الْعَرَبِيَّةَ .

وَلَمْ يَعْشُ طَوِيلًا بَعْدَ أَنْ انْتَصَرَ عَلَى الْإِفْرَنْجِ فِي  
سُورِيَّةَ .



مَوْتُهُ :

أَصَابَهُ بَرْدٌ شَدِيدٌ . وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ سَيَمُوتُ ، تَنَازَلَ عَنْ كُلِّ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ لِلْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ ، وَبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ .

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ٢٧ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ٥٨٩ هـ وَ ٤ مِنْ مَارِسِ سَنَةِ ١١٩٣ م . مَاتَ صَلَاحُ الدِّينِ وَعُمُرُهُ ٥٧ سَنَةً . وَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَجِدُوا فِي خِزَانَتِهِ الْكَبِيرَةِ إِلَّا دِينَارًا وَنِصْفَ دِينَارٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُنْفِقُ كُلَّ أَمْوَالِهِ فِي مُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ .